لم يكن الإصلاح الحُسيني بمعزلٍ عن الثوابت الإسلامية التي أكّدتها الرسالة المحمّديّة السمحاء؛ بل جاءت النهضة الحسينيَّة متوشّحة بلباس الإيمان ومكمّلة لمنهج النبوَّة ومحافظة على مبادئ الولاية التي أقرّتها بنود الثقافة الإسلامية؛ لحفظ العباد والبلاد من الفتن المظلمة التي تعصف بالناس بين الحين والآخر؛ فتسلبهم نعمة الهداية وتبعدهم عن دينهم الحقّ الذي شَرَعه الله تعالى لينقذهم من ظلمات الجهل ومستنقعات الرذيلة إلى نور الهداية والصراط السويِّ.

إنّ خروج الحسين (عليه السلام) نحو نهضة أبديَّة كان لا بدَّ له من أسس ومبانٍ يعتمدها في الوصول والاستمرار؛ لذلك نهض (عليه السلام) بمعيّة شعار مدوٍّ زلزل عروش الفاسدين؛ إذ قال (عليه السلام): ((إني لم أخرج أشرًا ولا بطرًا ولا مفسدًا ولا ظالمًا وإنّما خرجت لطلب الإصلاح في أمّة جدي (صلى الله عليه وآله) أريد أنْ آمر بالمعروف وأنهَى عن المنكر، وأسير بسيرة جدي وأبي علي(عليهما السلام)) ، وكأنه يُذكّرنا بقوله تعالى: }وَلا تَكُونُوا كَالَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيارِهِمْ بَطَرًا وَرِئاءَ النَّاسِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَاللَّهُ بِما يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ{ [الأنفال : ٤٧] ، فالحسين (عليه السلام) يُبيِّن أصول نهضته، وعلَّة خروجه وحركته، وانتماء ثورته، ومنهج دعوته، فقوله: (إني لم أخرج أشرًا ولا بطرًا ولا مفسدًا ولا ظالمًا) يؤكّد أصول نهضته المباركة، فلم يخرج مرحًا أو تكبُّرًا على العباد أو لنشر مفسدة أو ظالمًا لأحدٍ من الخلق، وهو بذلك يؤكِّد سفاهة المتسلّطين وفساد حالهم وضرورة النهضة عليهم للحفاظ على المكتسبات الإسلامية التي باتت في مهبِّ الريح بعد تسلّط الفاسدين والظالمين على رقاب الأمّة وزيغهم عن سبيل الحقّ وقيادتهم للناس إلى محاربة الله ورسوله ومواجهة رسالة السماء بنشر الفساد ومحاربة الإصلاح.

وزاد الحسين (عليه السلام) على ذلك؛ إذ أكَّد أنَّ خروجه كان بقصد الإصلاح في أمة جدِّه المصطفى (صلّى الله عليه وآله وسلّم)، وظهر ذلك في قوله: (وإنّما خرجت لطلب الإصلاح في أمّة جدي (صلّى الله عليه وآله وسلّم) أريد أنْ آمر بالمعروف وأنهى عن المنكر)، وهذه الكلمة تُبيِّن حالة الفساد آنذاك؛ إذ كان مبرمجًا مِن لدن المؤسسة الحاكمة؛ للرجوع بالأمة إلى الجاهليَّة الأولى، وترك المبادئ الإسلامية وسُنة النبيِّ الأكرم (صلّى الله عليه وآله وسلّم)؛ لذلك يؤكّد الحسين(عليه السلام) اتّصال دعوته بدعوة جدِّه (صلّى الله عليه وآله وسلّم)، وفي ذلك إشارة إلى أنَّ القوم الذين نهض الحسين(عليه السلام) عليهم لم يكونوا على ملَّة رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم)؛ بل كانوا ممن يحارب الإسلام كدين والحسين(عليه السلام) كانتماء؛ لذلك فقد سقطت هُويّتهم الإسلامية وأصبحوا عراة من جهة الدين والمبادئ والأخلاق بخروج الحسين(عليه السلام)، فلمَّا اجتمعت المصلحة على مواجهتهم مع العُدَّة التي كانت عبر المئات من الرسائل من مختلف الجهات والشخصيات أصبح لزامًا على الحسين (عليه السلام) الخروج في تلك النهضة الحُسينيَّة التي رسمت معالم جديدة للثورات وأيقضت الأمة من سُباتها العميق؛ لتتوقَّد أفئدة الناس وعقولهم تجاه القضية الإسلامية التي كانت مهدَّدة بالزوال نتيجة السياسات الخبيثة لحُكام الجور آنذاك.

والحُسين(عليه السلام) أكّد أنّه يسير في نهضته المباركة بمسيرة جدِّه وأبيه (عليهما السلام)؛ ليثبِّت أنَّ منهجه ومنهج أبيه ومنهج جدِّه (عليهم السلام) منهج واحدٌ في قبال المنهج الذي أخذ عنوانه من الإسلام والإسلام منه براء، واتّضح ذلك في ختام كلمته المباركة؛ إذ قال(عليه السلام): (وأسير بسيرة جدي وأبي علي)، فسلب الشرعيَّة من غيره في خروجه، وهذا الأمر زاد من ركائز نهضته التي نجحت في تغيير مسار الحراك الإسلامي وإنقاذ الأمَّة من غفلتها وإعادة الحياة للمسيرة الإسلامية بشكل متجدِّد عامًا بعد آخر وكأنّه (عليه السلام) أصبح شمعة مضيئة لكلّ المسلمين وليستقِّر في قلوب المؤمنين أنّ الإسلام محمديٌّ الوجود حُسينيٌّ البقاء.

الشورى
اشِراً وَلَا بَطِراً
وَلَا مُفْسِداً وَلَا ظَالِماً
وَإِنَّمَا خَرَجْتُ لِطَلَبِ
الْإِصْلَاحِ فِي أُمَّةِ جَدِّي